

دور الصلاة في تحقيق السلام الروحي



◀- ماذا يمكن أن نجنيه من صلاتنا اليومية؟

إنّ تكبيرة الإحرام (الأكبر)، تختزن في داخلها شحنات هائلة ضدّ الكثير من المضعفات أو المثبّطات والمخوّفات.

وإنّ (سورة الفاتحة)، بما تحتوي من مضامين الإرتقاء إلى مقام الخطاب مع صاحب الجلالة (البارك وتعالى) تفتح دروباً واسعة وآفاق رحبة أوسع لما تتصوّر، خذ مثلاً واحداً فقط: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) (الفاتحة / 6-7).

إنّك هنا تفتح على طريق الخير والإستقامة والصّلاح ليس في بدء الإسلام بل من فجر الخليقة.. لأنّ نقطة البداية فيه من هناك.. إنّك تطلب الإلتحاق والإنخراط في الطائفة المؤمنة التي أنعم الله عليها بإيمانها حتى حازت مقام القرب منه منذ آدم (ع) وحتى آخر إنسان صالح على هذه الأرض.

وإنّك عندما تقول وأنت راكع: "سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ" .. تعيش محلّاً في أجواء العظمة المتعالية على كلّ الصغائر. إرتباط بالعظمة في أعظم مصادرها.

وحينما تسجد لتقول: "سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ" .. تترامى في العلوّ المعنوي، الذي لا تطلُّ أجنحة غير المؤمنين ذُراه.. فأنت (الأعلى) لأنّك مرتبطٌ بالأعلى).

وهكذا في كلّ فصلٍ من فصول صلاتك ودعائك وأذكارك.. هناك إنفلات من (المحدود)، وسباحة في فضاء (المطلق).. هناك تمزيقٌ لشرنقة المادّة للتخليق في سماوات الروح.. لذلك كانت ركعتان يصلّيهما المصلّي لا يحدث نفسه فيهما عن شيء من الدنيا، كافتان بأن تُحدثا إنقلاباً نفسياً هائلاً من جنبات روحه وشفاء نفسه.. جرّب ولا تيأس.. وحين تتمكن من أداء هاتين الركعتين، ستجد أنّك في عالم آخر، أنّك مخلوق آخر.. وما يُقال عن الصلاة يُقال عن سائر العبادات.

تؤكد دراسات روحية حديثة على أن الإنسجام أو التجانس مع المصدر، قادر على أن يهبك بلا حدود!!

إن هذا والذي تقوله ثقافتنا من أن الإرتباط بالمصدر هو إرتباط بفيض العطاء الدائم المتصل الذي لا تنفذ خزائنه واحد؛ تأمل في (الفيض المعنوي اللامحدود) في نماذج أو عيّنات من النور المبين: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا) (لَنْ نُهْدِيَهُمْ سُبُلَنَا) (العنكبوت/ 69).

(وَلَوْ أَنزَلْنَاهُمْ آمَانًا وَاتَّقَوْا) (البقرة/ 103)، (لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (الأعراف/ 96). (فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) (إِنْ زَنْهَ كَانَتْ غَفَّارًا) (نوح/ 10). (يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِدْرَارًا) (وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ) (وَبَنِينَ) (وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ) (نوح/ 11-12). (وَاتَّقُوا اللَّهَ) (وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهَ) (البقرة/ 282).

"عَبْدِي أَطْعَمَنِي تَكُنْ مِثْلِي" "تَقِلْ لِلشَّيْءِ: كُنْ فِيكَوْنُ" ... إلخ.

إن الذين تحدّثوا عن (الواقى المقدس) لم يتحدّثوا عن خرافة، فبعض ممّا هو قابل للإحتراق حينما لا يحترق في النار التي تلتهم كل شيء.. لم يكن شيئاً مسحوراً! تذكر أن الطاقة المنخفضة، عندما تواجه طاقة أكثر ارتفاعاً يحدث لها تحول تلقائي، فلو لم يحدث لنا القرآن عن سلامة يونس (ع)، ونجاته من بطن الحوت، أما كنّا اعتبرناها قصةً من وحي الخيال ونسج الوهم، والإعجوبة الأكبر ليس في نجات يونس (ع) فقط، بل بإمكانية نجات كلّ اليونسيين الذين إذا كانوا في قلب الحوت.. قلب الموت.. قلب النهاية.. قلب التيه.. قلب المجهول، قلب الخطر الهائل، وحملوا معهم المصباح الذي حمله يونس.. مصباح النجاة.. الواقى المقدس؛ (فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَوْلَا أَنزَلْتُ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (الأنبياء/ 87).

أتاهم النداء الحاني.. والوعد الصادق.. والنجاة الممتدّة قوارب نجاته وأخشاب إنقاذ عبر العصور (وَنَزَّجْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ) (وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ) (الأنبياء/ 88)!!، وعدّ صادق غير مكذوب.. ومَن أصدقُ من □ قِلا؟!

هل تأكّدت الآن أنّنا لا نطلق الكلمات جزافاً، وأنّ الذين يتحدّثون اليوم عن الإمساك بمقبض الحافلة، أدركوا - مبكّرين أو متأخّرين - أنّك بدون المقبض.. تتأرجح.. تترنّج.. ثم لا تلبث أن تنكبّ على وجهك؛ (وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَيْلِ الْوَارِيدِ) (ق/ 16)، (فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَا يَسْتَجِيبُوا لِي وَلَئِي وَرَدُّوا بِرِي لَعَلَّاهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة/ 186)!! (أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) (النمل/ 62) ... "كُنْ لِمَا لَا تَرْجُو أَرْجَى مِنْكَ لِمَا تَرْجُو"!! والقائمة طويلة والمؤدّي واحد. ▶